

المجامع^(١) مجمع اللغة العربية بدمشق

(٢)

د. عبد الله واثق شهيد

قام مجمع دمشق بالمهام المنوطة به في سنواته الأولى على أحسن وجه، ولم يكن في وثيقة إحدائه في هذه المرحلة ما ينظم عمله ويحدد أغراضه ومهامه والوسائل التي يمكنه استعمالها لتحقيق أغراضه، ولا الأساليب التي تيسر له النجاح في مهمته. فقد أصدر الحاكم العسكري الوثيقة التالية الموجهة إلى رئيس ديوان المعارف برقم وتاريخ ١٩١٩/٦/٨:

$\frac{٥٦٩٨}{٣٣٤٧}$

«دفعاً للالتباس الذي يمكن وقوعه نسبنا أن يسمى ديوانكم بالمجمع العلمي (آقاده مي) وإننا لندرجو إفراز ميزانية المدارس على حدة وإرسالها إلى مدير المعارف العام والسلام عليكم»^(٢). و(آقاده مي) هي كلمة (أكاديمي) كما كانت تلفظ في

(١) نُشر القسم الأول من هذه الدراسة في العدد السابق من مجلة المجمع (المجلد ٨١، الصفحات ٤٧٥-٤٩٩)، وخصص لعرض نشوء المجمع في البلاد الأوربية في أواسط القرن الخامس عشر وتطورها في أثناء عصر النهضة والتنوير، وأشار فيه إلى بعض ما سبق أن قام بوظيفة المجمع من مراكز علمية عربية إسلامية ما بين أواخر القرن العاشر وتُبيّل منتصف القرن الرابع عشر. ثم جرى الانتقال إلى عرض نشوء جمعيات النهوض باللغة وسعيها الحثيث إلى إنشاء المجمع التي كانت شروط نشأتها مشابحة لشروط نشأة المجمع العربية، فجاءت المجمع العربية بأهدافها وأغراضها وأساليب عملها قريبة مما جاء في تلك المجمع وشغلت في المجتمع والدولة مواقع شبيهة بتلك التي شغلتها المجمع العربية.

(٢) ينظر: أحمد الفتّيح: تاريخ المجمع العلمي العربي، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، سنة ١٩٥٦، الصفحة ٧.

تلك الأيام إبان الخروج من العهد العثماني. ويقول محمد كرد علي رئيس مجمع دمشق في التقرير الأول عن أعمال المجمع: «كان المجمع العلمي العربي يعرف لأول أمره بالشعبة الأولى للترجمة والتأليف التي أسست على أثر تأليف الحكومة العربية في أواخر خريف سنة ١٩١٨، ثم جعلت هذه الشعبة ديوانَ المعارف... موكولاً (ووكّل) إليها النظر في أمور المعارف والتأليف وتأسيس دار للآثار والعناية بالمكتبات ولا سيما دار الكتب الظاهرية...»^(١). وهذا يعني أن تأسيس دار للآثار والعناية بالمكتبات أو دور الكتب وإيلاء دار الكتب الظاهرية عناية خاصة، أصبحت كلها من مهام المجمع، إضافةً إلى مهامه اللغوية والعلمية. ويفهم من التقارير السنوية الستة الأولى أن المجمع ارتبط برئيس الدولة حتى سنة ١٩٢٧ وبرئيس مجلس الوزراء في السنوات الثلاث التالية، ثم ارتبط إدارةً بوزارة المعارف كما نص على ذلك القرار ذو الرقم ١٣٥ لعام ١٩٢٨ الخاص بتنظيم المجمع^(٢). وهو أول تنظيم للمجمع تضعه الدولة.

لابد أن أغراض المجمع وأهدافه كانت واضحة في أذهان مؤسسيه وإن لم تصدر في وثيقة رسمية. ويؤيد هذا الرأي أن الدعوة إلى إنشاء المجمع في الجمعيات والصحافة، كما ذكر في هذه الدراسة، سبقت إنشاء مجمعنا بعدة عقود، وهو أيضاً وريث لجنة الترجمة، بأغراضها العامة التي وضعت لها منذ إنشائها، ثم إن رئيس المجمع صرح مراراً أن مجمعنا اتخذ المجمع الفرنسي نموذجاً أو أنه أنشئ على غرار

(١) ينظر محمد كرد علي: أعمال المجمع العلمي العربي بدمشق، مرجع سابق، التقرير الأول الصفحة ٣.

(٢) ينظر: مجلة المجمع العلمي العربي المجلد ١٢ الصفحات من ٧٦٥ حتى ٧٦٨.

وحذا حدوه^(١)، وهذا يجعل المهام متشابهة؛ ويؤيده أخيراً ما يمكن استخلاصه من الأغراض التي جاءت في المنشور العام^(٢) الذي أعده رئيس المجمع محمد كرد علي باللغتين العربية والفرنسية وأرسل، في ٢٠ أيلول سنة ١٩١٩، أي في بدايات عمل المجمع، إلى المجلات والمجمع في الشرق والغرب. ولقد قام الأعضاء المؤسسون مع رئيسهم بوضع مشروع نظام أو قانون اتبعوه في عملهم دون أن يصدر^(٣)، وكان من أبرز ما فيه، التعريف بأغراض المجمع، وهي لا تخرج عن الأغراض العامة للمجمع العلمية اللغوية التي أشرنا إليها من قبل (في الصفحة ٤٩٥ من المجلد ٨١)، وتصنيف أعضائه في ثلاثة أصناف: أعضاء عاملون (وهم موظفون) وعددهم ستة، وأعضاء مؤازرون في دمشق (غير موظفين) وعددهم ما بين ١٢ و١٨، وأعضاء مراسلون عددهم غير محدد.

كانت هذه هي كل المعالم الرئيسية التنظيمية للمجمع إبان تأسيسه. لقد تركت الوثيقة التي أصدرها الحاكم العسكري للمكلفين إنشاءه كثيراً من الحرية في العمل، ولم يضيف المؤسسون إليها إلا القليل وقد أشرنا إليه. هذه الحرية حملت المؤسسين مسؤولية النجاح أو الإخفاق في قيام المجمع بما يعوّل عليه من المهام الضخمة التي يأتي في مقدمتها إزالة آثار التتريك في اللغة والثقافة. وضع المؤسسون خطتهم للقيام بالمهمة، وكان منها بعض المعالم التنظيمية التي أشرنا إليها، وشارك الأعضاء المؤازرون زملاءهم العاملين فعبوا الدواوين، وقاموا بتدريس الموظفين العربية والإنشاء، ووضعوا المصطلحات، وصححوا كتب المدارس وأغلاط الصحفيين،

(١) ينظر على سبيل المثال محمد كرد علي: أعمال المجمع العلمي العربي بدمشق، مرجع سابق، التقرير الأول، الصفحة ٣.

(٢) ينظر: مجلة المجمع العلمي العربي، المجلد ١، الصفحتان ٦ و٧.

(٣) ينظر: أحمد الفتّيح، مرجع سابق الصفحتان ٢٣٨-٢٣٩.

وشاركوا في تحقيق أغراض المجمع كلها دون أي تعويض أو مكافأة^(١). وقد أخذ الأعضاء الملائمون (المراسلون) باستخراج الأغلاط من الجرائد وتصحيحها^(٢)، ونشر المجمع في الصحف العامة ما صحح منها، قبل قراءتها في مجموعات في مجلس المجمع لنشرها في المجلة.

وكان من أهم مظاهر النشاط الثقافي اللغوي الذي قام به المجمع وواكب نهوضه بمهامه الأساسية منذ سنواته الأولى، إنشاء المجلة وإلقاء المحاضرات التثقيفية العامة. فقد أنشأ المجمع مجلة له صدر عددها الأول في كانون الثاني سنة ١٩٢١، وكان يسعى لإصدارها منذ انفصاله عن ديوان المعارف^(٣)، ثم قرر في جلسة بتاريخ ١٧ أيلول سنة ١٩١٩ أن يطلب من الحاكم العسكري الموافقة على إصدار مجلة تبحث في مواضيع تتفرع عن أغراضه و«ينشر فيها أعماله وأعمال أعضائه العاملين والمراسلين والشرفيين، ممن تخيرهم ليعاونوه بعد البحث الطويل في الشام ومصر والعراق وتونس والجزائر...» (كان) يبعث بمجلته إلى أعضائه مجاناً، وإلى أشهر الجامعات والجامعات ودور الكتب في القارات الأربع... وقد بلغ عدد من تبادلهم مجلة المجمع من هذه الجامعات والمكاتب والجامعات في أوروبا (٨٥). وبذلك زادت شهرة المجمع في الأندية العلمية^(٤)... ولقد بدأت المجلة بالصدور شهرياً حتى عام ١٩٣١، ثم أصبحت تصدر كل شهرين حتى عام ١٩٤٩ ثم استقرت ربع سنوية. وتوقفت عن الصدور مرتين الأولى من

(١) ينظر عدنان الخطيب مجمع اللغة العربية بدمشق - القسم الأول، مرجع سابق، الصفحة ٢١.

(٢) ينظر: مجمع اللغة العربية بدمشق، المجمع العلمي العربي في خمسين عاماً (لم يذكر اسم المؤلف)، دمشق ١٩٦٩، الصفحة (١٥)، وأحمد الفتيح، مرجع سابق، الصفحة ١٠٩.

(٣) ينظر الفتيح: مرجع سابق، الصفحة ١٧١.

(٤) ينظر محمد كرد علي: أعمال المجمع العلمي العربي في دمشق، مرجع سابق، التقرير الأول، الصفحتان ٦٥.

١٩٣٣/٥/١ حتى ١٩٣٥/٥/١، لأسباب إدارية تتعلق بإعادة النظر في أوضاع المجمع من الناحيتين الإدارية والمالية.. والمرة الثانية من بداية عام ١٩٣٨ حتى بداية عام ١٩٤١ بسبب نقص الموارد^(١). كما قرر المجمع أن تفتتح محاضراته «في قاعة المحاضرات يوم الأحد في ١٧ نيسان سنة ١٩٢١...، واستمر إلقاء هذه المحاضرات مرة كل أسبوعين. فلما زاد إقبال الناس عليها أنشأ المجمع بليقيها مرة في كل أسبوع... وشاء المجمع أن يكمل رسالته الثقافية فبحث في إلقاء محاضرات على السيدات...، وبعد المذاكرة في الجلسة المنعقدة بتاريخ ٥ كانون الثاني سنة ١٩٢٣ تقرر المبدأ». وقد استمرت محاضرات المجمع هذه حتى ١٩٤٦/٤/١٢. «أما المحاضرون فهم أعضاء المجمع الموظفون وأعضاؤه العاملون أو من يكلفهم المجمع إلقاء المحاضرات» من رجال الثقافة واللغة الذين آمنوا بأهمية دور المجمع وأغراضه. وكان لابد من عرض المحاضرة على (لجنة النظر في المحاضرات والمقالات)^(٢) لينظر بعض أعضائها في الموضوع، وينظر بعض آخر في لغة المحاضرة.

وواكب هذه الأنشطة العلمية اللغوية والثقافية سعيٌ حثيثٌ وذكيٌّ للتعريف بالمجمع وبأهدافه السامية في خدمة اللغة ونشر المعرفة، فأجاز «من موازنته بعض المجيدين من الكتاب والعلماء بمقدار من المال وبابتياح كمية من

(١) ينظر الفتيح: مرجع سابق الصفحتان ١٧٦ و١٧٧.

(٢) ينظر أحمد الفتيح، مرجع سابق، الصفحات ٣٧-٣٩ عن كل ماورد عن المحاضرات، أما قوله: «أما المحاضرون فهم أعضاء المجمع الموظفون وأعضاء المجمع العاملون» فلا بد من استبدال المؤازرين أو المرسلين بالعاملين ليتسق الكلام مع ما ورد في تصنيف الأعضاء قبل قليل. إن افتقار المجمع في سنواته الأولى قبل عام ١٩٢٨ إلى قانونٍ يضبط نظمه وأحكامه، منذ صدور أمر إحدائه الأساسي، كان السبب في هذا الاختلاط. وقد ذكر الفتيح في الصفحة ٢٣٤ «أن المجمع اختار من علماء العاصمة أعضاء شرف»... فأعضاء الشرف صنف جديد أيضًا من أعضاء المجمع في سنواته الأولى.

كتبهم ورسائلهم تنشطاً لهم»^(١). وكان من بين من حصلوا على جوائز المجمع الأمير مصطفى الشهابي والدكتور محمد أسعد طلس في عام ١٩٤٤ والدكتور صلاح الدين المنجد في عام ١٩٤٩. ودعا المجمع الموسرين في البلد لمد يد العون والمشاركة في تشجيع المجيدين من الكتاب على التأليف والتجديد. ووزع المجمع العلمي الكتب والمجلات «على الطلاب والدارسين والباحثين، وعلى بعض غرف القراءة التي أنشئت حديثاً خارج دمشق، منها ما كان من مطبوعاته، ومنها مما ابتاعه أو مما أهدي إليه...»^(٢)، كما عزم على جمع التبرعات للمجمع من الجاليات السورية في القارة الأمريكية^(٣).

وأُنجز المجمع إلى جانب قيامه بأعماله العلمية والثقافية، ترميم المدرسة العادلية قبل أن ينتقل إليها، وأهم ما يشهد اليوم على جودة مستوى تلك الأعمال، الخشبيات من أبواب ونوافذ أتقن صنعها وفق الهندسة والفنون العربية^(٤). وتولى المجمع رعاية دار الكتب الظاهرية وإدارتها، وإنشاء دار للآثار، وأنشأ في حلب فرعاً له تحدث عنه رئيس المجمع محمد كرد علي في تقريره الثاني في عام ١٩٢٣ والثالث في العام الذي يليه... وضمّ المجمع ما بين عامي ١٩٢٣ و ١٩٢٦ إلى الجامعة، وكان من مهامه في تلك المرحلة على الأقل، دراسة تنظيم التعليم الجامعي وتشجيع

(١) ينظر: محمد كرد علي، أعمال المجمع العلمي العربي عن سنواته الثلاث الأخيرة (١٩٢٢-١٩٢٤) الصفحة ٨ والصفحتان ٧٥-٧٦.

(٢) ينظر: محمد كرد علي، التقرير الرابع بأعمال المجمع العلمي العربي، الصفحة ١٠.

(٣) ينظر: محمد كرد علي، أعمال المجمع العلمي العربي عن سنواته الثلاث الأخيرة، مرجع سابق، الصفحتان ٧٣-٤٧.

(٤) ينظر: أحمد الفتّيح، مرجع سابق، الصفحة (٩)، «وكان للمهندس الرسام توفيق طارق فضل كبير في إعادة البناء إلى زخرفته ودقة صنعه».

الإنتاج الأدبي^(١)... فكان له فضل اقتراح إحداث مدرسة عليا للآداب وُضِع نظامها، ووافقت حكومة الاتحاد (السوري) على إحداثها في عام ١٩٢٤. ومع ذلك كلّه وإضافةً إليه، فقد أقام المجمع معرضاً للصنائع الشرقية في مقره بالعادية^(٢) في حزيران سنة ١٩٢٨!

كان أعضاء المجمع العاملون (الموظفون) في سنواته الأولى ستة فقط، ألفت منهم اللجنة الإدارية (مكتب المجمع)، وهم رئيس المجمع السيد محمد كرد علي ونائبه الشيخ سعيد الكرمي وأمين سر المجمع العام السيد عز الدين علم الدين التنوخي والشيخ عبد القادر المغربي والسيدان أنيس سلوم وديميتري قندلفت^(٣). وفي آب ١٩٢١ حل السيد عيسى اسكندر المعلوف محل ديميتري قندلفت. هؤلاء والشيخ أمين سويد هم مؤسسو المجمع الثمانية. ومنهم أيضاً كان أكثر أعضاء لجنة الترجمة وديوان المعارف نشاطاً. ويلاحظ أن أكثر منجزات المجمع في النصف الأول من العقد الأول من حياته (١٩١٩-١٩٢٤) على الأقل، كانت من إعداد لجنة الترجمة وديوان المعارف^(٤) ومن منجزاتهما، أو الأخرى هي من منجزات المؤسسين ومن تعاون معهم في المرحلة التحضيرية لإنشاء المجمع. ومما تجدر ملاحظته أن أوضاع المجمع في العقد الأول من حياته، كانت كثيرة التقلب وحملت الكثير من المفاجآت، كتوقف العمل في المجمع ما بين تشرين الثاني من عام ١٩١٩ وأيلول من عام ١٩٢٠ لأسباب إدارية ومالية، وكاضطراب أنظمتها وسرعة تعديلها وتواتره،

(١) H.Laoust et S.Dahan :L' œuvre de l'Académie Arabe de Damas 1921- 1950, Bulletin, d'études Orientales, Tome 13, Damas P.162.

(٢) ينظر محمد كرد علي: التقرير الخامس بأعمال المجمع العلمي العربي الصفحة ٣٨.

(٣) الفتّيح، مرجع سابق، الصفحة ٢٣٩.

(٤) الفتّيح، مرجع سابق، حاشية في الصفحة ١٧.

فباقتراحٍ مثلاً من الأمير شكيب أرسلان سار المجمع منذ عام ١٩٢١ على خطة التعريف بالعضو الجديد من قبل أحد الأعضاء في جلسة القبول أسوةً بالمجامع العلمية الأجنبية^(١) وثبت هذا التقليد فيما بعد في قانون المجمع^(٢)، وكتوالي تغير تصنيف أعضائه وعدد العاملين منهم فيه، وربطه بالجامعة في سنة ١٩٢٣، ثم استقلاله عنها في آذار سنة ١٩٢٦، وربطه أيضاً إدارياً تارة برئاسة الدولة وأخرى برئيس الوزراء. ولم يصب المجمع بعض الاستقرار إلا بعد صدور قانونه بالقرار ذي الرقم ١٣٥ لعام ١٩٢٨ الذي وردت الإشارة إليه، والذي حدد أغراضه وعدد أعضائه العاملين وأعاد تصنيفهم، وربطه إدارياً بوزارة التربية، ونظم كيفية انتخاب أعضائه وانتخاب رئيس المجمع وعضوين دائمين من الأعضاء يساعده في تسيير شؤون المجمع. ومن أهم ما جاء فيه أيضاً:

- الاكتفاء بإشراف المجمع من الوجهة العلمية، على دور الآثار في دولة سورية، وهذه خطوة هامة في الطريق إلى فصل دور الآثار عن المجمع.
- تترك الخيار للمجمع في الإبقاء على فرعه في حلب.
- تحديد عدد اجتماعات مجلس المجمع بجلسة اعتيادية واحدة سنوياً وتترك الخيار لرئيس المجمع بدعوة المجلس أيضاً للاجتماع في جلسة غير اعتيادية.
- فرض إيداع المكتبة الوطنية (في دولة سورية) الملحقه به، ثلاث نسخ من كل مطبوع ينشر في سورية...

في تلك البيئة المضطربة المتقلبة قدم المجمعون المؤسسون وزملاؤهم المؤازرون

(١) الفتيح، مرجع سابق، حاشية في الصفحة ٢٣٧.

(٢) ينظر المادة (٤) من قانون المجمع بالمرسوم التشريعي ذي الرقم ٦٠/آ.س لعام ١٩٤٣، والمادة

(١٥) من النظام الداخلي بالمرسوم ذي الرقم ٥٧١ لعام ١٩٤٣ وقد نشرتهما مجلة المجمع في

المجلد ١٨ والصفحات ٢٧٧-٢٨٧، والصفحات ٥٥٤-٥٧٢.

الإبجازات الفذة التي أشرنا إليها باختصار، على الرغم مما دار فيها «حول المجمع في أواخر سنة ١٩٢٢، وأوائل سنة ١٩٢٣ من أخبار إلقائه أو إبقائه»^(١). في تلك البيئة، المضطربة قامت في سورية أول دولة عربية مستقلة في عصر النهضة، وقوّض تأمر الغرب بنياها قبل أن يشتد، فاندلعت الثورات في أرجائها وانطلقت الثورة السورية الكبرى في عام ١٩٢٥، فاضطر العديد من مؤسسي المجمع إلى الهجرة من دمشق، فعاد الشيخ سعيد الكرمي إلى عمان في أيار من عام ١٩٢٢، وهاجر عز الدين علم الدين التنوخي إلى العراق في عام ١٩٢٣. ولدى اندلاع الثورة السورية في عام ١٩٢٥ عاد عيسى إسكندر المعلوف إلى لبنان واستقر في مدينة زحلة، وهاجر ديمتري قندلفت إلى لبنان أيضاً واستقر في بيروت، وغادر الشيخ أمين سويد دمشق إلى صيدا ثم إلى حرش في الأردن... ولم يعد إلى دمشق إلا قبل وفاته - التي كانت في عام ١٩٣٦ - بثلاث سنوات، واعتلت صحة أنيس سلوم في عام ١٩٢٦ فخفّ نشاطه^(٢). ولم يبق في المجمع من مؤسسيه في عام ١٩٢٦ سوى الأستاذ محمد كرد علي والشيخ عبد القادر المغربي. في هذه الظروف الصعبة تابع المجمع مسيرته مع من واكب نشأته من الأعضاء الجدد والمؤازرين والمراسلين، ومن انضم إليه إبان ما سميانه النفير^(٣) العام للتعريب، فكان منهم جيل الريادة الثاني، في الحركة الجمعية السورية وفي التعريب أيضاً. إلا أنّ أغلب الذين هجروا دمشق من

(١) ينظر محمد كرد علي: أعمال المجمع العلمي العربي بدمشق، التقرير الثاني (١٩٢٣)، مرجع سابق، الصفحة ٣٢.

(٢) ينظر عدنان الخطيب: مرجع سابق، القسم الأول، الصفحات ٤٧-٤٨ و٥٦ و٦٣ و٩٦-٩٧ و١٢٢.

(٣) ينظر عبد الله واثق شهيد: تجربة سورية الرائدة في تعريب العلوم في التعليم العالي، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد ٧٩، الصفحة ٤٧٣.

المؤسسين: الكرمي والتنوحي والمعلوف، لم يطبقوا هجرها وهجر العمل الجمعي، ودفعهم حينئذٍ إليه وتشوقهم إلى خدمة العربية، إلى القيام بمحاولات لإنشاء مجامع حيث حلوا، في الأردن والعراق ولبنان.

فما هي أسباب هذا النجاح الباهر الذي حققه المؤسسون في العقد الأول

من حياة المجمع؟

- لقد كان من أهم أسباب هذا النجاح، البيئة التي نشأ فيها المجمع

وأحاطت به:

* بيئة سادها اعتزاز الأمة بطردها المحتل، وشعور بالقوة والكرامة، فاندفعت إلى القضاء على ما خلفه التتريك في اللغة والمجتمع. وأنشأت لهذه المهمة المجمع الذي أنضج عصر النهضة تكوينه ورسم صورته، فهبَّ يخوض المعركة بأعضائه وبمن آزره من المتطوعين، وهم أكثر في هذه البيئة، واستثمرت فئات الأمة كلها لنصرة المجمع في مسعاه. منهم من وضع نفسه في خدمته لعله يأنس فيه الكفاءة لمؤازرته في التعريب أو في التعليم أو في تصحيح أخطاء الجرائد والكتاب... ومن الموظفين من تقدم يسأل المجمع تصحيح ما في ديوانه من ألفاظ أو تعريبها. وشرعت الصحافة تنشر ما يراه المجمع من تصحيح أغلاط الكتاب. وامتدت نصرة المجمع وتشجيعه إلى البلاد العربية المجاورة فكانت تأتي في صورة بحث أو رأي ينشر في مجلته أو نقدٍ لبعض ما نشر فيها، أو مجموعة من المخطوطات النفيسة يعث بها معجب هديةً إلى مكتبته. وحوث تقارير رئيس المجمع السنوية الخمسة الأولى عن أعمال المجمع، في هذا العقد، الكثير مما لقيه المجمع من تقديرٍ وتشجيعٍ في بلاد الشام والبلاد العربية كلها وفي كثير من الأقطار الأجنبية.

* بيئة كانت القناعة فيها تسود شروط الحياة ولا ترهق مطالبها الإنسان

والأسرة. ولم يكن المجتمع الاستهلاكي وليد ستينيات القرن الماضي - والذي نزل بنا فيما بعد - في تصور وتقدير مستقبلات الحياة الاجتماعية والاقتصادية في تلك الأيام.

* بيئة كان فيها إنسان تلك الأيام عامة متعطشًا للتنعم بالكرامة والحرية اللتين عزَّ طلبهما في وطننا قرونًا، وللاستزادة من الثقافة والمعرفة ليبيّن له بحما موقعًا مرموقًا في المجتمع، يرضيه ويطمئن إليه. ولم يكن السعي لتحسين شروط الحياة يأخذ من طلاب العلم والمعرفة إلا القليل من جهدهم وتفكيرهم.

- كما كان من أسباب نجاح المجمع، براعة الأسلوب الذي اتبعه المجمعيون وقتئذٍ في عملهم، إنه التفاعل والتعايش:

* كان عمل المجمع حصيلة تفاعله تفاعلاً نشيطاً مع جميع الفئات التي كانت تقع لديها مشكلات لغوية تحتاج إلى الإصلاح، إنها فئات طلاب المدارس والعسكريين والموظفين والكتاب والصحفيين...، يجعل تفاعلهم نشيطاً تعايشهم ومطلبٌ مشترك بينهم هو إصلاح اللغة. هذا التفاعل النشط هو الذي دعاهم إلى إصلاح النطق ويسّره لهم ومكّنهم منه، فنشروا حصيلة ما أصلحوه في مجلة المجمع بعنوان عثرات الأفيام^(١) فتكامل مع سلسلة مقالاتهم في عثرات الأفيام.

* هذا التفاعل النشط هو الذي حمل صيت المجمع إلى الجاليات العربية في القارة الأمريكية وحثّ على مؤازرته فيها وفي بلاد الشام، ودفع الموسرين إلى التبرع بجوائز مالية تشجيعاً للكتاب على الجيد من مؤلفاتهم.

* وهذا التفاعل جعل المجمع في العقد الأول من حياته خلية نحل، ملكتها

(١) ينظر المجمع العلمي العربي في خمسين عامًا (مؤلف مجهول) مرجع سابق، الصفحة

(١٦) (والأفيام جمع فم).

اللغة والجميع في خدمتها. والمجمع هو الرائد المخطط والمنسق، يضع الخطط وما إن يشرع في التنفيذ حتى يزدحم حوله المؤازرون، يطلبون متطوعين، دوراً في التنفيذ لعلهم يرتفعون به إلى مصاف الوطنيين البررة، ويثلجون بالقيام به صدورهم.

* هذا التفاعل والتعايش نلمسه أيضاً في تعاون المجمع مع الاختصاصيين في مختلف الفنون التي وضع مصطلحاتها «فجمع بين قدرة أعضائه اللغوية وبين معرفة الاختصاصيين بمفاهيم الألفاظ الفنيّة»^(١)، كما نلمسه في تعاونه مع مديرية المعارف «بحيث نظمت جلسات مشتركة بحث فيها عن أقرب الطرق لنشر الفصحى بين الطلاب والجمهور»^(٢)، واعتمد المجمع فيها تقريراً وضعه الشيخ عبد القادر المغربي^(٣). ونلمسه أيضاً في محاضراته التثقيفية التي شرع يلقبها في ربيع عام ١٩٢١ ولاقت إقبالاً كبيراً من المواطنين فاتخذ قراراً بإلقاء محاضرات على السيدات في بداية عام ١٩٢٣. لقد كانت محاضرات المجمع ضرباً من التفاعل والتعايش الذي قرّبه من المواطنين وزادهم ثقة به.

ويدخل في براعة الأسلوب أو الحكمة في معالجة المشكلات:

* تجنّب ما يدعو إلى الخلاف في الأمور اللغوية فيما ينشره المجمع في تصحيح الأغلاط، ودون ذكر اسم الشخص الذي وقع في الغلط^(٤).

ولا شك أن النجاح الذي أصابه المجمع كان، قبل كل ما ذكر من الأسباب، ثمرة تعاون أعضاء المجمع وتأزّهم واتفاقهم، فقد كانوا «لا يدخرون وسعاً في السعي،

(١) ينظر الفتّيح: مرجع سابق، الصفحة (٣٠).

(٢) الفتّيح، مرجع سابق، الصفحتان ٣٢ - ٣٣.

(٣) ينظر مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، المجلد ٣، الصفحة ٢٣١.

(٤) ينظر مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، المجلد ١ الصفحة ١٧٣.

عاملين متآزرين نحو تحقيق الخطة التي اتفقوا عليها لإعلاء شأن العربية...»^(١) وهذا هو ما أهل المجمع لقيادة المشروع ووضع خطة تنفيذه ومتابعته وتصحيح مسار الخطة وتطويرها.

ثم إن المجمع في تفاعله هذا، في البيئة التي أحاطت به، أصبح هو وسطاً ملائماً لنشوء أنشطة في بعض مجالات أغراض المجمع احتضنها العاملون فيه. فهم يعيشون في المجمع يومهم كله أو أكثره، يشاهدون التفاف الجماهير المثقفة حول أعضائه ومؤازريهم، ويسمعون ما يتداولونه من آراء للنهوض باللغة ولبناء الأجيال علماً وثقافة وفكرًا، فيدفعهم ما يلقاه أعضاء المجمع من احترام وتقدير إلى الاقتداء بهم والسير على سننهم في العمل، فيعودون إلى ما حوته دار الكتب الظاهرية من نفائس الكتب ومختلف المراجع ليستزيدوا من بعض ما راق لهم مما سمعوه، أو ليمحصوا ما أشكل عليهم منه، فنمت حركة علمية في صفوف العاملين وإن كانوا قلة، ونشأ منهم من أصبح في عقد الثلاثينيات أو فيما بعده مؤرخًا أو محققًا أو أديبًا أو باحثًا في بعض شؤون أغراض المجمع. وهذا هو نجاح آخر للمجمع كان ثمرة تردد أصداء عمل أعضائه وسيرتهم في البيئة التي أحاطت به، وخاصة في الأقرين إليه فيها، وهم العاملون فيه.

ولئن شارفت مهمة التخلص مما خلفه التتريك على الانتهاء، بعد تعريب الدواوين وتعليم الموظفين اللغة العربية والنظر في كتب المدارس الابتدائية والثانوية، وإصلاح ما فيها من أخطاء، ووضع مصطلحاتها بالتعاون مع المختصين، في العشرينيات من القرن الماضي، فإن مهمة تعريب التعليم العالي التي بدأت مع إحداث المجمع والمعهد الطبي العربي، لا ينجز منها في عقد من الزمن ما يمكن أن يمثل حالة واضحة المعالم من حالات تعريب التعليم العالي،

(١) ينظر عدنان الخطيب، مرجع سابق، الصفحات ٢٢ و ٢٣.

فمهمة المجمع على هذا المحور مهمة متجددة المصاعب والمشكلات. ويحسن تقسيم العقد الأول، الذي ينتهي مع عام ١٩٢٨ ومع صدور أول تنظيم حكومي للمجمع (القرار ١٣٥) إلى مرحلتين. مرحلة أولى تنتهي في عام ١٩٢٤، وكانت أصعب مراحل تعريب التعليم العالي في القطر، إذ كان على كل عضوٍ من أعضاء هيئة التدريس أن يكون في هذه المرحلة الأفكار الرئيسية التي تقوده إلى الأسلوب الصحيح الذي سيتبعه ليشق طريقه في تعريب ما كُلف تدريسه. فمن كانت الأفكار الرئيسية التي كوّنوها متناسقة متكاملة واضحة، وقامت على قاعدة متينة من الثقافة العربية عامةً واللغوية منها خاصة، أمكنه أن يضع ملامح الخطة التي سيتبعها، وأن يجد سبيله للقيام بالمهمة بنجاح، فيشرع بعدئذٍ بنشر ما يتوصل إليه في مجلتي المجمع والمعهد، اللتين كانت صفحاتهما منتدًى مفتوحًا لتبادل الآراء بين العلميين واللغويين العرب، يشدهم إلى نصرته المجمع والمعهد حرصهم على نجاح المسعى العربي في دمشق، واغترابهم بما حققاه من نجاح. وانتهت المرحلة الصعبة مع بدايات ظهور المنهجية في معالجة مشكلات وضع المصطلح في فكر الجمعيين العلميين، والتي بدت في أعمال كل من الدكتور جميل الخاني والأمير مصطفى الشهابي اللذين باسرا نشر أفكارهما الأساسية حول تعريب التعليم العالي في عام ١٩٢٤ في مجلة المعهد الطبي العربي بعنوان «لغة العلم»^(١)، وفي مجلة المجمع بعنوان «قطع أغصان الشجرة»^(٢). ثم تجمّع في مرحلة ثانية تلت الأولى، لديهما ولدى كل عضوٍ من أعضاء هيئة التدريس في المعهد،

(١) ينظر جميل الخاني: لغة العلم، مجلة المعهد الطبي العربي، المجلد ١، الصفحة ٦٠. (أول مقالة من سلسلة مقالات بهذا العنوان نشرت في مجلة المعهد).

(٢) ينظر الأمير مصطفى الشهابي: قطع أغصان الشجرة، مجلة المجمع العلمي العربي، المجلد ٤، الصفحة ٣٧٨.

مجموعات من المصطلحات يوجب ترتيبها وتنسيقها وائتلاف مفرداتها واتساق معانيها، نشرها للاحتكام إلى أهل الاختصاص في العلم أو في اللغة أو لتسجيل السبق في ميدان التعريب. وقد امتدت هذه المرحلة إلى نهاية العقد الأول في عام ١٩٢٨ لدى بعض أعضاء هيئة التدريس، وإلى بدايات عقد الثلاثينيات أو حتى إلى منتصفه لدى بعض آخر منهم.

وامتد طموح بعض العلميين إلى تطوير أساليب وضع المصطلح، فتابع الأمير مصطفى الشهابي نشر دراساته في هذا المجال^(١) منذ عام ١٩٢٤ في مجلة المجمع، وكانت كلها في علوم الزراعة والمواليد و مصطلحاتها، ثم توسع في بحوثه فجمع أسس وضع المصطلح المتوارثة وأضاف إليها ونشر فيما بعد كتابه «المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث»... ونشأ في هذا العقد من الزمن مجموعة من أساتذة المعهد الطبي أصبحوا فيما بعد روادًا في حركة التعريب ووضع المصطلح من أمثال مرشد خاطر وجميل الخاني وصالح الدين الكواكي... وشرع بعضهم منذ العشرينيات يضع الخطوط الأولية لصنع معجم مختص بالعلم الذي يعمل فيه. وبدؤوا بجمع مصطلحاتهم مرتبة ترتيبًا ألفبائيًا أو غيره في جداول طوروها تدريجيًا لتقترب من معجم مختص انتهى إليه في الثلاثينيات وفيما بعدها.

نستخلص من تأمل مسيرة المجمع في العقد الأول من حياته، كما جاءت في الصفحات القليلة السابقة، أن المجمع قام فيها بمهامه على محورين: محور تعريب التعليم العالي، ومحور إزالة آثار التتريك في اللغة والمجتمع، وتعريب الدواوين وإصلاح كتب المدارس وأغلاط الصحفيين ووضع مصطلحات الحياة العامة... الذي

(١) ينظر عبد الله واثق شهيد: تطور المصطلح العلمي العربي، مرجع سابق، الصفحة ٤٥٠.

نصطلح على تسميته اختصاراً محور إزالة آثار التتريك في اللغة والمجتمع. كانت القيادة في التخطيط والتنفيذ على المحور الثاني أو الأخير لأعضاء المجمع اللغويين^(١)، وبلا حظ أن عملهم عليه كان جماعياً، بمعنى أن الأعضاء ومؤازريهم كانوا يعملون على تنفيذ خطةٍ أو مهمةٍ واحدة يوزعون لإنجازها الأدوار حتى على «المستقرين». فأهوا لذلك بنجاح المرحلة الأولى من مهمتهم.

أما على المحور الأول، محور تعريب التعليم العالي، فكانت القيادة فيه للعلميين، إلا أن هذه القيادة لم توزع الأدوار على الأعضاء في خطة لإنجاز المهمة. وقد تكون ظروف العمل على هذا المحور، هي التي فرضت هذا الواقع. فكل عضوٍ من أعضاء هيئة التدريس في المعهد، تفرغ لإنجاز مهمة التعريب في المادة التي يدرسها، ولم يكن في أي من مواد الدراسة في تلك الأيام أكثر من مدرس واحد، بل قد يوزع الأستاذ ما لديه من طاقة على أكثر من مادة، وتلك كانت، على سبيل المثال، حال الدكتور جميل الخاني الذي قام بتدريس مادتي أمراض الجلد والفيزياء. فالمدرس من هذا المنطلق ليس له في المعهد نظير يعود إليه يشاطره الخبرة ويتبادل معه الرأي، كما أن كلاً من زملائه منهمك في إنجاز المهمة في المادة التي يدرسها. ومن هذا المنطلق أيضاً يمكن أن نجد لقيادة المجمع عذراً في العمل على محور تعريب التعليم العالي دون تنسيق بين الأعضاء. إلا أن ما يجعلنا نستبعد الأخذ بهذا التعليل هو أن أساتذة المعهد الطبي (وجلهم أعضاء عاملون أو مراسلون في المجمع) كانوا ينشرون ما وضعوه من مصطلحات على صفحات مجلتي المجمع والمعهد كما ذكرنا، وكانوا

(١) جاء في الصفحة (١٠) من تاريخ المجمع العلمي العربي لأحمد الفتّيح (وهو مرجع سابق)، ما يلي: «(قرر المجمع) بعد المذاكرة ما يأتي: أن يقسم المجمع إلى قسمين، قسم لغوي أدبي، وقسم علمي فني». وقد استعرنا هذا التقسيم، وقصرنا التسمية اختصاراً على لغوي وعلمي.

يقرؤون فيهما ما يرد من نقدٍ لما نشره ويتبعونه برودٍ ومناقشات قد تطول، كذلك المناقشات التي كانت تجري على صفحات المجلة بين الأب أنستاس ماري الكرملي وجميل الخاني، ثم أخذت تدور المناقشات على صفحات المجلتين بين أعضاء المجمع بعضهم مع بعض. فلم يكن الوقت هو ما ينقصهم للتنسيق، ولكن صعوبة القيام به، هي التي حالت دون محاولة الأخذ به وشككت في جدواه، فحل محله عرض مصطلحاتهم على صفحات مجلتي المجمع والمعهد لتتفحها الآراء والمناقشات المطروحة على تلك الصفحات. ولذلك أيضًا لا نجد في العشرينيات من القرن الماضي على هذا المحور، محور التعليم العالي، عملاً جماعياً أو تعاونياً كأعمال اللغويين.

كان العقد الأول من حياة المجمع، في رأي الرئيس كرد علي «دور تمرن واستقراء واستجماع قوى»^(١). لقد كان يطمح إذن أن يحقق المجمع قفزات تضاهي ما حققه في العقد الأول إن لم تكن أكبر. إلا أن ظروفًا عديدة استجذبت لم تساعد المجمع على تحقيق آمانيّ مؤسسه. وسنحاول تلخيص أهم التطورات التي طرأت على نظم المجمع وعلى البيئة المحيطة به والتي يمكن أن يكون لها دور فعال في التأثير في نشاطه.

فأما أهم التطورات التي طرأت على نظم المجمع فهي صدور أول قانون ينظم عمله في عام ١٩٢٨، وقد لخصنا من قبل (في الصفحة ٧١٦) أهم ما جاء فيه. إلا أن قانون المجمع الصادر بالمرسوم التشريعي ذي الرقم ٦٠/آ.س في عام ١٩٤٣ كان أكمل تنظيمًا وأشمل أحكامًا إذ استُكمل في نفس العام بالمرسوم ذي الرقم ٥٧١، الذي اشتمل على النظام الداخلي للمجمع (وهو ما يعرف اليوم باسم

(١) ينظر: محمد كرد علي: التقرير السادس بأعمال المجمع العلمي العربي، الصفحة الأولى.

لائحته الداخلية). وأهم ما ورد فيهما: إضافة العمل على توحيد المصطلحات العلمية في الأقطار العربية إلى أغراض المجمع ومهامه، وإحداث إدارة ملحقة بالمجمع هي إدارة دور الكتب العامة وصيانة الإضرابات الوطنية، وإلغاء ارتباط إدارة الآثار بالمجمع إداريًا وعلميًا بإغفال ذكرها فيه، وإحداث لجتين دائمتين تتمتعان بصلاحيات واسعة هما لجنة الشؤون الإدارية ولجنة المجلة والمطبوعات، واشتراط إقامة العضو العامل في دمشق، وبذلك أغلق فرع حلب حكمًا. وأورد هذا القانون عدة أحكام في تعويضات حضور جلسات المجلس واللجان وإلقاء المحاضرات والنشر في المجلة... ضمنها في عددٍ من مواده. وكان قانون عام ١٩٢٨ قد اكتفى، في معرض تعداد أنواع النفقات في الموازنة، بالإشارة إلى التعويضات التي تعطى للأعضاء على الأبحاث والمحاضرات التي يكلفهم المجمع القيام بها. ويمكن أن نستخلص من هذه التطورات أن العمل على توحيد المصطلحات العلمية بين الأقطار العربية أصبح غرضًا من أغراض المجمع ومهمة أساسية من مهامه، بعد أن كان يكتفي منذ إنشائه بترويج توحيد المصطلحات ويدعو إليه بإلحاح، وأن التعويض المالي عن الأعمال العلمية وتنظيم صرفها أصبح أمرًا مهمًا يوجب أن يفرد له مجموعة من المواد والأحكام في القانون وفي نظامه الداخلي. كما نلاحظ أن تشتت جهود المجمع بين عدة مهام كبرى أخذ يتقلص، فخرجت إدارة الآثار تدريجيًا من حوزة المجمع، وتكرزت مهامه في دمشق، بعد أن تحقق ما كان يتمناه الرئيس كرد علي ورئيس الدولة^(١) بإلغاء الفروع، وتم ذلك بأسلوبٍ تحاشي ذكر إلغائها، وانصرف إلى حصر إقامة العضو العامل في دمشق مقرّ المجمع. ويلاحظ أيضًا في المواد الخاصة باللجنة

(١) ينظر: محمد كرد علي: أعمال المجمع العلمي العربي عن سنواته الثلاث الأخيرة،

التقرير الثالث (١٩٢٤)، مرجع سابق، الصفحة ٦٦.

الإدارية ولجنة المجلة والمطبوعات، في كلٍّ من القانون والنظام الداخلي، إحكام الرقابة على ما يكتب في المجمع وما يلقي في قاعاته، إحكامًا دقيقًا وشبه صارم، وتأكيد وجوب بقاء المجمع بعيدًا عن المشاحنات السياسية والدينية^(١). إلا أن هذه الرقابة كما يبدو من تقارير الرئيس كرد علي الستة الأولى عن أعمال المجمع، ومما نشر في مجلته، لم تعق عمل المجمع في تحقيق أغراضه.

ولم يأت القانون ذو الرقم (٩٠) لعام ١٩٤٧ ونظامه الداخلي الصادر بالمرسوم ذي الرقم ٢٣٥٠ لعام ١٩٤٨، في بدايات العهد الوطني، بتغييرات جذرية، ولكنه تابع تركيز مهام المجمع على النهوض باللغة العربية وبأغراضها الواردة في القانون السابق، فلم يأت على ذكر المصلحة الوطنية للإشراف على دور الكتب العامة والأضابير الوطنية، واستعاض عنها في مهام المجمع بمهمة تنظيم إلقاء المحاضرات في ردهة المجمع والمدن السورية! كما ألغيت الإشارة إلى تولي رئيس المجمع إدارة شؤونه في العاصمة والمحافظات (التي وردت في المادة ٩ من المرسوم ذي الرقم ٦٠/آ.س)، إذ إن شؤون فرعه في حلب لا بد أن تكون قد سويت بتصفيته بعد مرور أكثر من عقد من الزمن على إلغائه بقانون سنة ١٩٤٣، ولم يعد لرئيس المجمع ما يتولى إدارته في المحافظات. ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا القانون الذي وضع بعد الاستقلال، احتفظ بأحكام الرقابة على الفكر كما وردت تقريبًا في قانون سنة ١٩٤٣.

ولم تأت الوحدة السورية المصرية بتغييرات هامة على محتوى القانون ذي الرقم

(١) الفتية، مرجع سابق، الصفحة ٢٣٨، وكرر كرد علي الإشارة إلى التزام المجمع في مسيرته بهذا المبدأ، وكأنه كان يفاخر بالالتزام به، كما يستخلص مما توارد كثيرًا في ثنايا تقاريره الستة الأولى عن أعمال المجمع، ومنها ما ورد في الصفحة الثانية من التقرير الرابع.

(٩٠) في البنية والأغراض، فالقرار ذو الرقم ١١٤٤ لسنة ١٩٦٠ القاضي بإنشاء مجمع اللغة العربية (وليس المجمع العلمي العربي) ولائحته الداخلية (وليس نظامه الداخلي) الصادرة بالقرار ذي الرقم ٣١ لسنة ١٩٦١ قريران من حيث المحتوى مما جاء في المرسوم التشريعي ذي الرقم (٩٠) ونظامه الداخلي. أما أهم ما استجد فيهما فكان في تيسير أسباب العمل، إذ أصبحت لجان المجمع الدائمة في حكم القانون الجديد أربع لجان بإضافة لجنة المخطوطات وإحياء التراث، ولجنة المصطلحات وألفاظ الحضارة، وأعطى القانون مجلس المجمع الحق في تأليف لجانٍ دائمة أخرى، كما أبرز دور الخبراء في تنفيذ أعمال المجمع، ومنح أعضاء المجمع تعويضاً شهرياً يحدد بقرار من الوزير. وعلى الرغم من عدم صدور القرار المنتظر طوال نصف قرن تقريباً فإن أهمية الحكم تبقى كبيرة ونوعية، فقد حدد التعويض القانون ذو الرقم ٣٨ لعام ٢٠٠١. ويلاحظ أخيراً أن الرقابة الشديدة على ما يكتب وما يلقى من محاضرات قد ألغيت في قانون المجمع الذي جاء مع الوحدة السورية المصرية.

ونجمل أهم التغييرات التي طرأت على أنظمة المجمع، بعد مرور عقدٍ من الزمن على إنشائه وحتى نهاية القرن العشرين بما يلي:

- لم يطرأ على مهام المجمع وأغراضه للنهوض باللغة العربية تغييرات تذكر.
- أُعفي المجمع من القيام بالمهام الأخرى وألغيت تدريجياً من قانونه، وهي: إدارة الآثار، فالإشراف العلمي عليها، وإدارة دور الكتب العامة وتنظيمها وصيانة الإضبارات الوطنية، وأخيراً تنظيم إلقاء المحاضرات في المجمع والمدن السورية.
- أصبحت إقامة العضو العامل في دمشق مقر المجمع شرطاً على المرشح لها، وأدى ذلك إلى تركيز أنشطة المجمع في دمشق وإغلاق فرعها في حلب.
- حذفت شرط الحد الأدنى للسِّن على المرشحين لعضوية المجمع.

- ظهرت الحاجة إلى المكافأة المادية على العمل في وقت مبكر، ونظم القانون أحكام تقديرها وصرفها منذ عام ١٩٤٣، ومنح القانون في عام ١٩٦٠ تعويضاً شهرياً للأعضاء يحدد ويصدر بقرار من الوزير إلا أن ذلك القرار لم يصدر.

- أدخل القانون الصادر في عام ١٩٦٠ بعض المستجدات في تيسير أسباب عمل المجمع، فأبرز دور الخبراء في المشاركة في أعماله، وضاعف عدد اللجان الدائمة وفوض إلى مجلس المجمع إحداث لجانٍ دائمةٍ أخرى.

وأما التطورات التي حلت بالبيئة التي تحيط بالمجمع ويعمل ضمن شروطها فأهمها ما يلي:

- خبّو جذوة «النفير»^(١) للتعريب منذ القضاء على الدولة العربية في دمشق، بعد أن كانت قد اتقدت في حماها.

إحداث مجمع القاهرة الذي استقطب نشاط الإخوة المصريين وكثيراً من العرب وحتى بعض مجتمعي دمشق.

- اضطراب شروط المعيشة وازدياد ضغطها على الأفراد وتحكم مطالبها في توجيه نشاطهم.

- تقهقر جودة تعليم اللغة العربية وتراجع المهارات اللغوية عند العلميين خاصة، وغياب اللغويين المؤهلين لعضوية المجمع عن دمشق إلى ما بعد بلوغهم الستين أو السبعين من العمر، وارتفاع سن المرشح لعضوية المجمع تبعاً لذلك.

هذه الأسباب حالت دون تحقيق المجمع قفزات تضاهي قفزته العملاقة في العقد الأول. إلا أنه تابع تألقه بفضل جهود مؤسسيه من الجيلين الأول والثاني،

(١) ينظر: الصفحة ٧١٧، أو شهيد: تجربة سورية الرائدة في تعريب العلوم، مرجع سابق، الصفحة ٤٧٣.

والاندفاع الشديد الذي ولدته الطاقات التي اختزنها في العقد الأول، وما اكتسبه من الخبرة والمكانة في المجتمعات العربية.

* * *

للبحث صلة